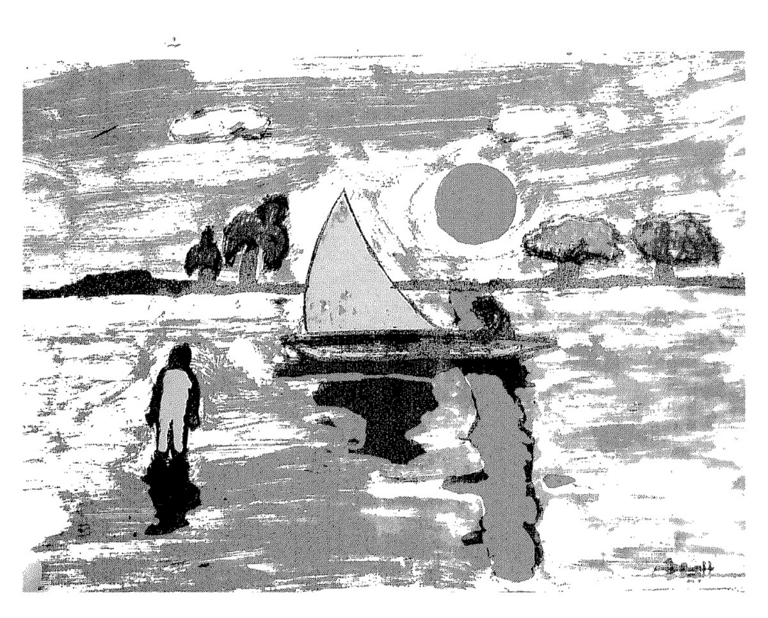
ترانيم لوطن واحد

ديوان الشاعرة

[illegible] ابنة البراء



الاهداء :

إلى من علمني حتى فقهت، وكان حديثه حياتي الأولى.
«أبي» رحمه الله؛
إلى وطني الغالي، وأبناء وطني المخلصين الأوفياء.
الى من قدم هوسي وقرأ فيه وطنا وهما ومواقف.
الى كل من ساعدوني في الحياة، وفي نشر ديواني: أهدي أولى كتاباتي، قد تكون اختراقا لما ألفوه من خصوصية الشعر في مجتمع رجولي. ولكن ليسمحوا؛ لو عرفوا مدى حبي هذه الأرض لعذروا، ولو دروا فرط حساسيتي لتقبلوا.

أنت أيها الوطن

أحببت فيك نسيم الليل متحدا
بـنـاظـريـك، ومـوج الـبـحـر لألاء
أحـببت رملك عملاقا يحاصرني؛
يـذيـبـنـي جـسـدا حـبـرا، وأشـلاء
أحـببت فـيك أباريقي منعنعة،
صمغ الـقـتـاد، وطـفـلا يـلـثـغ الـثـاء
نـخـل الـبـطـاح وبـدر الـتـم يـرقـبـه،
مـوال مـدح، وأشـيـاء... وأشـيـاء...

من أوراقي الخاصة/ أكتوبر ١٩٨١

بقلم الشاعرة:

هذه الكلمات جلاد للزمن، لا أعي كيف ظهرت ولا متى تشكلت.
هل ستقرأ؟ لا أدري؟...
إنما وبأمانة هي مني وأنا منها.
إن تكن يوما فستظهر مضمخة برائحة القتاد، مبللة بالصمغ والندى، فيها من زحف الرمال الهوج، وهوس الرياح العاتية، وخربشة الأوراق الذاوية في ليل البادية، ودموع الحزن العربي، فيها رغوة اللبن ساطعا من الحلاب، ويد تمسك الجريد نديا لترسم أطناب الخيام.
هي كلمات رحبة لطفلة ينمة الأصابع، ظلت تهيم على تلال قريتها الصغيرة، تخبز الرمل جمالا، ثم ترنو الى السماء مفتونة بالازرق الغامض كلما يحاصرها الزوال.

في وطنها تغلف السمرة الجمال، فالسواعد سمر، والوجوه سمر، والذكريات سمر، ما عرفت غير السمرة وجها لتحبه.
شاعت خطاها في شوارع باريس ومحطات روما والصحراء الكبرى، أسكرها غناء الغجريات في فضاء مدريد، وركبت سفينة نوح الى البر الخالي، لكن ذلك الوجه لازمها، ما كانت تنساه الا لتذكره، ويصيبها مس كمس السامري.
منذ الصرخة الاولى كان الشعر قد تلبسها، وسكن زغردات فرحها الدموي، لو فتحتم قلبها لوجدتم شظايا ملحية، واصدافا بحرية، ووردة الصباح الاولى، كلما تواجه ذاكرتها وانشطاراتها تبكي فهي كالضباب الربيعي لا تحتمل المعاني الرقيقة قد تتوجها الأيام أميرة للفقراء منسية في زاوية شارع، أو تكون رؤية غائمة لمهموم بالحياة، أودعت من ذاتها للأوراق كلماتها البيضاء، فتحملن الامانة فهي زاد الطريق، وما تبقى من شهية الحياة، تحيا لتذكرها، وتنام لتنثال أمام عينيها الرؤى، فما أدراها أن لا وراء السديم غير السديم.
كل أملها ان يتهجاها طفل لازال يلثغ حروف الابجدية، وأن تدعم حروفها يد صناع عرفت كيف تكتب الضاد وتنطقها.



تقديم

• بقلم الاستاذ

سيد أحمد ولد الدي

أن يكتب شاعر موريتاني في «أرض المليون شاعر» قصائد ويطمح الى نشرها - وقلما تساعده الظروف على تحقيق هذا المطمح - فذلك أمر لا يكاد يخرج عن مسار مألوفات الحياة اليومية. أما أن يتعلق الأمر بشاعرة أرادت تاء التأنيث أن تحاصر مشاعرها داخل الخدر. فانثالت خارج الأسوار «تحالد الزّمن» في شيء من التمرد وكثير من التحدّي. فهذا ما يستوقف المتتبع لحياتنا الادبية المعاصرة.

وقد شاءت الصدف ان اتولى تقديم مجموعة قصائد الشاعرة المبدعة امباركه بنت البراء «من أحلام أميرة الفقراء».

وهذا الديوان ليس ديوان الشاعرة أي ليس مشتملا على كل إنتاجها الشعري. وإنما هو مختارات انتقتها انتقاء لأنها أحست بأنها أقرب الى نفسها من غيرها أي انها «أحلى قصائدها».

ولا ريب في ان هذا الانتقاء يشكل بحد ذاته مساهمة نقدية بارزة إذ أن الشاعر هو الناقد الأول، واختياره يدل على أن ما اختاره لصيق بنفسه. حبيب الى قلبه، ليس فقط للدوافع الحميمة التي أدت الى ولادة النص، بل أيضا لاحساسه بمدى التوفيق في التعبير عن خلجات نفسه وتموّجاتها في مختلف الحالات التي ينفعل فيها بالاشياء فيريد أن يرسم هذا الانفعال على ورقة أو يغنيّه على وتر لإيصاله الى الآخرين.

وبذلك فإن عملية الاختيار التي قامت الشاعرة بها إنما تمت بعد مكاشفة ومصارحة مع النفس في مدى صدق العاطفة ودرجة التوفيق لنقل الاحاسيس بعفوية وصدق ونقاء، وإذا كان الشاعر يشترك في عملية النقد، فإن على النقاد أن يولوا إهتماما كبيرا لآراء الشعراء في شعرهم بدلا

من أن ينطلقوا في افتعال المفاهيم والمناهج واختلاق الصور، مزوّرين على الشاعر ما هو منه براء.

لقد قدمت الشاعرة ديوانها تقديما مختصرا هو في واقع الامر «قصيدة نثرية» تضاف الى المجموعة. وذلك لما طفحت به من شحنة شاعرية لغة ومضمونا وخيالا.

وتستوقفنا في هذه المقدمة جملة تبين مدى التصاق هذه القصائد بروح الشاعرة وحلول بعضها في البعض: «إنها وبأمانة هي مني وأنا منها». وان كنا نجدها أحيانا تتنكر لهذا «الحلول» وهي في عنفوان فورة الانفعال في أحد المواقف فتعلن:

لا حروفي مني ولا أنا منها
فحروفي مطرودة لطريد

ولعل الشاعرة صادقة في هذا وذاك وهنا أريد أن أثير قضية كثيرا ما أحسست بها عندما كنت أدرس الأدب وخاصة الشعر؛ وهي أن من التكلف والتمحّل بل ومن العبث أن نخط للشاعر مسارا على مسطرة فنختلق له مذهبا لا يحيد عنه؛ وطريقا لا يسلك غيرها. ونحدّد في تصلّب منهجه الفكري وملامح شعوره وآفاق نظرته الى الفنّ والنّاس

والحياة. ونجنح الى التأويل والتبرير كلما صادفنا ما يخرج على القواعد التي وضعناها فصرنا سجناءها. انما الشاعر إنسان قبل كل شيء ثم إنه إنسان من نوع خاصّ. مرهف الاحساس. جامح العاطفة والشاعر الصادق هو الذي يحب الشيء ويكرهه. ويعجبه الأمر ثم يزهد فيه. ويستحب السير في طريق ما يلبث أن يتنكبها. تبعا لتموجات روحه. وتقلبات مناخاته الفكرية والنفسية والعاطفية فهو يرى الصورة الواحدة بعشرات الألوان. فيعبر عن كل ذلك تعبيرا أمينا. وينقل كل ما يعتمل في نفسه نقلا صحيحا. ويبقى رغم تناقضاته صادقا مع نفسه ومع الناس. وبهذا فلا ينبغي أن نفرض على الشعراء ما نطلبه عند العلماء أو الساسة أو رجال الدين.

تضمنت هذه المجموعة الشعرية عشرين قصيدة تختلف طولا من بضعة أبيات الى أربع صفحات. وإن كانت النزعة الغالبة عليها هي الاقتصاد في عدد الأبيات وقد غطت فترة زمنية تراوحت بين عام ١٩٧٥م و١٩٩١م. مع أن الشاعرة مرت بسنوات ستّ عجاف لم تشأ أن تثبت شيئا مما أنشأته فيها وهي السنوات الممتدة من ١٩٧٧م الى ١٩٨٢م بالاضافة الى سنة ١٩٨٦م وهذه الفترة تغطي الى حد مّا المرحلة الدراسية للشاعرة في دار المعلمين العليا وإعداد

الدراسات العليا. ومن المحتمل أن تكون المقررات الجامعية الجافة قد شغلت شاعرتنا عن التخيل والتهويم في منحنيات وادي عبقر. خاصة وانّها عرفت عند أساتذتها بالجدّية والحرص على التفوق.

وقد جاءت احدى عشرة قصيدة على الأوزان الخليلية بينما وردت تسع على نمط شعر التفعيلة وهذا التّناضف بين الشعر العمودي والحر يدل على حرص الشاعرة على المواءمة بين طرفي جدلية الاصالة والمعاصرة.

ورغم أن القصيدة الحديثة بشكلها المتحرر، وبنائها الحلزوني ومضمونها الضبابي جديدة على مجتمعنا وعلى الذوق العام فان الشاعرة كادت تفرض قصائدها الحرة بنفس درجة تأثيرية القصائد العمودية وهناك على الاقل قصيدتان هما «انتظار» و«القلب الجريح» يمكن أن تعتبرا من الشعر الحديث الرائد في مجتمع لا تهزه الا القصائد العصماء. وقد يخيل الى أحيانا أن الشاعرة لم تمارس قرض الشعر الحر استجابة لحاجة فنية ملحة كالانسيابية في التفكير أو العفوية في التعبير وإنما عن طريق الهواية والمجاراة «لموضات» العصر فهي قادرة على أن تؤدي نفس المعاني وبنفس الشحنة الشعورية كما نجحت في ذلك بقصائدها الخليلية. وقد ترسّخت هذه القناعة لدي وأنا أقلّب قصيدة «خواطر» ظهرا

لبطن، وكدت أجزم أنها سخرية متعمدة من بعض شعراء المربد، وتاريخ القصيدة يوحي بذلك فني المهرجان العاشر للمربد ببغداد (١٩٨٩م) كثرت القصائد الموغلة في الحداثة الى حد فقدت معه روحها وموسيقاها الداخلية فكانت تخلق بين الشاعر والسامع أو القارىء سدا سميكا وتقطع بينهما كل إتصال وبذلك كان يفقد التناغم والتجاوب الروحي بين الطرفين وكثيرا ما ينشأ عند القارىء انطباع بقصور الفهم لانه لم يدرك مرامي الشاعر ولم يستبن الخيط الذي ينتظم فيه أفكاره.

صحيح أن الشاعر المبدع لا يركن الى التعبير المباشر عما يريد. وانما يخلق لدى المتلقّي مناخا من الايحاءات والانفعالات يستثيره ويفجّر دخائل نفسه. وهذا ما أدركه البحتري قديما ووضعه في سياق الايجاز والاطناب فقال:

والشعر لمح تكفي إشارته . وليس بالهذر طوّلت خطبه

ثم طور الناقد الفرنسي (سانت بيف) هذا المفهوم بقوله: «لا يقوم الشعر على قول كل شيء بل على إثارة الحلم بكل شيء».

ولشد ما أخشى ان يطور أيضا بعض غوّاة المعاصرة هذا المفهوم فيطلع علينا من يقول: لا يقوم الشعر على قول أي شيء بل على العبث بكل شيء.

وإذا نظرنا عن قرب الى الديوان وعرفنا أنه من إنتاج شاعرة موريتانية عربية. أمكننا أن نستجلي محاوره البارزة ونجملها في نظرتها الى قضايا الشعر والمرأة والوطن والأمة والانسان.

فهي شاعرة ترى في الشعر رسالة سامية تشيع الحب وتقوى الثقة بالنفس والوطن وتوطد دعائم الايمان:

قصيدتي اليوم شيء لا حروف له
عروضها الحب والايمان والوطن

ولكي يتمكن الشعر من تأدية هذه الرسالة فلا بد له من ان يتحلى بالصدق ويبتعد عن الرياء والافتعال:

أخلصتك الود لا ودي بمبتذل
وصغتك الشعر لا شعري بمختلق

وتبرز قصيدة «أريد» التي تعلوها مسحة جموح وتمرد

نظرة الشاعرة الى جوهر الشعر. فهو ليس غناء بقدر ما هو معاناة وهو ثورة على المضامين المتقوقعة والاشكال المحنطة والمسلمات النقدية المتوارثة وهو سلاح تشرعه المرأة لتثأر لنفسها ممن لم يكونوا يرون فيها الا الجانب الانثوي الصرف:

أريد لشعري يعني كياني
أريد لشعري يعاني مكاني
يعاني زماني
أريد من الحرف أن يستبد
ويخرج من عمدة القيرواني.
من العلب السود
من قال عمرو لزيد وزيد لعمرو....
... ويثأر للنهد والخصر.
من ابن (أبي) ربيعه.
ويصرع فوق السرير، صريع الغواني

ولكنها بعد أن تفرغ ما في نفسها من توتّر تلتفت الى الجانب الاخر من رسالة الشعر فهو يسعى الى بث روح السلام والحب والوئام لا يتوقف:

.... حتى تعانق عبس ذبيان
وقحطان عدنان.
وتأتي حديس وطسم تكلل خيمتها الاقحوان...

واللغة رداء الشعر وهي تلتبس بالكيان الأسمى للانسان ولذلك فلا بد ان تسايره في رحلته الازلية وتتعايش معه وتثور على واقعها فتعيد تشكيل نفسها طبقا لمعطيات الحاضر وضرورات المعاصرة:

لغتي قد سئمت ما أنت الا
عطش يشرب الدما من حبيبي
راهني الخلق واستثيري غريبا
أو تلاشي فأنت محض رنين
كسّري قمقم الخيال وعيشي
لحظات من الرؤى والجنون
خلّصيني من العهيد تجلّي
كرؤى الحب في قتام الشجون
أين أمتاح جدّة وسؤالا
لغتي لا أكون إن لم تكوني

ومن هذا التحريض على ثورة اللغة أو الثورة عليها حيث تتموج بحار الرؤى لتتكسّر على شواطيء الجنون. ندرك السّر في بعض التساهل اللغوي الذي نحسه من حين لآخر في ثنايا الديوان. فالشاعرة ضليعة في اللغة العربية متمكنة منها- الى

حد بعيد وهي اولى بأن تكون صاحبة «اليد الصناع» التي عرفت كيف تكتب الضاد وتنطقها». ولعل هذا النص... مقصود يستجيب للدعوة الى تحديث اللغة وتكسير «القمقم».

والشاعرة امرأة فلا بد أن تمنح اهتمامها لقضايا بنات جنسها وقد نحت في هذا الاهتمام منحي طريفا مرجعه ان المرأة العربية عندنا ليست لها قضية خاصة بها. فامرأتنا وإن كانت شرقية من الناحية الروحية والتراثية فهي ليست مضطهدة ماديا ولا معنويا ودورها في البيت والمجتمع كبير. ثم انها تتمتع بمجال واسع من الحرية والتسامح من أولياء أمرها ومن المجتمع بل إن هناك من يبالغ ويقول ان المرأة عندنا هي التي تضطهد الرجل.

ولهذا فقضية المرأة هي قضية المجتمع جميعا. قضية التخلف والامية والجوع... الخ.

ولئن سجلنا للشاعرة ثورتها على الرجال الذين لا يرون في المرأة الا وسيلة للمتعة والانجاب فهذه فكرة مطروقة وانما الطريف عندها أنها تسدد سهام السخرية اللاذعة الى الغواني اللائي لا يرين لأنفسهن من دور في الحياة سوى التّغنج والتّزين والبهرجة. ولئن حاولت الشاعرة التّملّص من عهدة «تحية الثامن من مارس» فأسندتها الى «الشيخ المحافظ»

فانها قد رسمت صورة «كاريكاتورية» لعدد كبير من نساء مجتمعنا :

... فشعرك الدهر أهلاب ملونة
يقصّ منه وتبقى منه أفنان
عيناك كحل وأهداب مبرعمة
وساعداك أساوير وعقيان
وفوك لا فضّ فوك الله يكلؤه
ففيه ما فيه "شنكوم" و"جيتان"..
من للقوام وكيف الثوب يحصره
والخد معتصر دهنا وريان...
لا تسمعي عذلا من حاقد لسن
فإنما المرء اصباغ وألوان

ومن هنا تفترق طريقها عن طريق هؤلاء النساء «القشرويات» وتعلن انفصالها عن أولئك الغواني اللاتي لا يرين في انفسهن أكثر من دمى و«أصباغ وألوان» :

أنا لم أدن بسطور النساء
ولم أتمذهب فلي مذهبي

مدهشها هو الرهلنبة في سبا الفن

[illegible]

[illegible]

وشاعرتنا وطنية من الطراز الأول شديدة التعلق برمال وطنها وسمرة مواطنيه ويتكرر التأكيد على هذا التعلق الى حد الهاجس في أغلب قصائد الديوان وتكرس له قصائد مستقلة بنفسها ويلقاك ذلك في ظواهر الكلف بهذه البلاد والتعاطف مع بناتها في مآسيهم الأليمة (من مذكرات مسفر) او من نظرة الكلية الى تكامل مكونات الوطن الطبيعية والبشرية فيعانق النهر الرمال في خيال الشاعرة قبل ان تتكفل ظاهرة التصحر بتحقيق حلمها ويخلو القتاد بالنخيل في مناجاة حميمة حتى اذا صهرت الشاعرة كل هذه المكونات بعضها في بعض انصهرت فيها بدورها وتلاشت في خضمها همسة حنان ودفقة حب وعطاء انها تعشق وطنها بما فيه من جدب وقسوة في الطبيعة فيخيل اليك انها مغرمة بالأفق الاغبر والارض الخزر وشحوب الرمال ونشظف الحياة. وكيف لا وهي تحلم بأن تتوج أميرة للفقراء.

ويمكنك أن تستجلي أبعاد هذا التعلق وهذا الحلول

الصوفي في قصائد: «الى خيمة عربية» و«ترسيات على الوطن الأم» و«من مذكرات مسفر» و«نهر ورمل» الى غيرها...
أما فيا يتعلق بقضايا الوطن بمفهومه الأوسع أي قضايا الوطن العربي الكبير فقد كان قلب الشاعرة ينبض بنبض الأمة من محيطها الى خليجها فكانت تشد أوتار قيثارتها لتتناغم مع خلجات نفوس العرب في كل مكان فجاء شعرها زمجرة غاضبة في قصيدة «إلى خيمة عربية» التي ألقتها في الأيام الاولى للإنتفاضة، كما جاءت قبل ذلك تهليلا لانتصارات العراق في حربه مع إيران في مقطوعة «أنشودة الشهيد» وتحية ملأى بالاعجاب والحماس لانتفاضة الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة في قصيدتي «أنشودة الحجر» و«القلب الجريح» وحنينا أزليا الى تحقيق حلم الوحدة بين شتات العرب في قصيدة «لماذا؟» كل هذا بالاضافة الى غلبة الهاجس الملازم لأغلب الموريتانيين الى حد العقدة في إبراز عروبتهم:

وأهتف دوما،
أنا عربيه
أنا عربيه

والى جانب كل هذا فانها تتناول قضايا الانسان ملتبسة بقضايا الوطن والامة، فتصل بها الى أبعاد لا نهائية وقصيدة

«انتظار» من هذا النوع الذي يعالج قضية وطنية من زاوية انسانية اذ تجسد أمامك مأساة الانسان يتعلق بما لا يكون فهذه المرأة البائسة التي لا يعلم مدى بؤسها الا الله «العالم بما كان وما يكون» تسكت وليدها الجائع بأمل سراب هو وصول باخرة «الاسعاف» التي ستحيل البؤس نعيما والجوع شبعا بل و«تخمة» لأن الباخرة وإن طال الانتظار:

يوما ستأتي من وراء البحر تمخر العباب.
وتسكت الوليد...
لا بكاء لا عذاب...

ولكن هذا الأمل لا يلبث أن يذهب جفاء عندما تصل الباخرة ينقشع الغبار من وراء الافق عن العقاب الذي:

... حملها لو كره واسدل الحجاب

وإذا بالأمل الذي رواد سكان الكوخ الفقير «سنين وسنين» يستحيل الى يأس؛ وحمولة السفينة الى:

... مخازنا من دونها تعملق البواب
وأقصرا بألف باب

وهنا لا يسع الأم المسكينة الا أن تضرب صفحا عن كل ما عللت به نفسها منذ سنين، وتستلم للطبيعة مفوضة امرها

أي «الخريف» الذي قد لا يأتي بجديد:

وهدهدت وليدها...

ترى أيمطر السحاب؟

وسفين شاعرتنا تختلف عن سفين الشاعر أحمد بن عبد القادر وإن تزامنا فسفينها قادم وسفينه ذاهب وإن كانا قد اتفقا في عدة أمور من حيث الجوهر فسفينها أمل مقبل لينتشل الناس من عذابهم وسفينه ذاهب بالناس ليخرجهم من الجحيم وكلاهما يصور بأمانة جانبا من واقع مجتمعنا في السنوات الاولى من العقد الماضي وكلاهما يتميز بعمق الاحساس بمأساة الانسان يعلل نفسه بالأوهام أو ينتقل من جذوره ليسبح في عالم الضياع...

* *
*

هذا وقد اعتمدت شاعرتنا في ديوانها أسلوب الافضاء والمكاشفة ولكنها كانت غالبا ما تعتمد الايحاء والتعبير غير المباشر الملتف بغلالة شفافة من الرمزية. ومسحة رومنسية كئيبة في بعض الاحيان.

وقد ترتفع النبرة، في توقيعات خطابية تمليها طبيعة الموضوع ومتطلبات الاثارة. ولكنها تبقى خطابية قريبة من

النفس لا ينفر منها سمعك ولا تشعر فيها بالتصنع والافتعال.
ومع أن إحدى عشرة قصيدة من قصائد الديوان العشرين قد جاءت على القواعد العمودية فانها قد انحصرت في أربعة أبحر هي:
البسيط (٤ قصائد) والمتقارب (٤ قصائد) والخفيف (اثنتان) والكامل (واحدة).
ولئن اجتهدنا في ايجاد مبرر لهذا الولوع بالمتقارب الذي هو من البحور الصافية أي ذات التفعيلة الواحدة وهو والكامل يقربان بذلك من شعر التفعيلة الذي يلتزم فيه غاليا بتفعيلة واحدة مهما طالت السطور الشعرية أو قصرت فاننا لا نعرف سر الولع بالبسيط أهو لرصانته وسكينة ايقاعه؟ أم لحاجة دفينة في نفس الشاعرة هي أدري بها؟..
والحقيقة ان اختيار الشعر للبحور ومدى التلاؤم بين موسيقى الأوزان ومضامين القصيد مازالا لغزا محيرا لم نجد فيه جوابا شافيا ولا نظرية مقنعة.
والديوان يمتاز في مجمله بنكهته الموريتانية وغلالته الصحراوية فالخيال البدوي والخيمة والسهول الجرداء والرمال الزاحفة والصمغ والقتاد والسماء الزرقاء كل هذا يحملك الى مهد طفولتك ومراتع صباك في مرابع وطنك الحبيب. وانك واجد هذا اللون المحلي حتى في استعمال

بعض الكلمات حسب مدلولها الحساني: «ترثرة غائرة» (اي امرأة غيرى) و«ما فتيء اجسر حيتا».

وبعد فإنني أعتز بأن أقدم الى القراء الكرام ديوان الشاعرة امباركه بنت البراء: «من أحلام أميرة الفقراء» وأدعوهم الى قراءته وارتياد عوالمه الفسيحة والغوص في أعماقه البعيدة فهو جدير بان يقرأ وأن يتناوله النقاد بالدرس والتمحيص فهو بلا شك حدث أدبي فني ذو شأن وواحة جميلة تخرج من أحشاء صحرائنا الثقافية الجرداء.

واحتراما لفهم القارىء وذوقه فإنني لم أرد أن أتدخل بينه وبين هذه القصائد فأتناولها بالتحليل الموسع والعرض المستفيض ولتعذرني الشاعرة الرقيقة إذا كنت قد أقحمت نفسي بينها وبين شعرها أو كنت قد قسوت عليها في بعض الأحيان ولتتقبل مني ذلك برحابة صدر وصادق تفهم. فقد حرصت ان اكون صادقا معها بقدر حرصها ان تكون صادقة مع نفسها ومع الناس.

نواكشوط ١٠ ستمبر ١٩٩١م

قـــــراءة أولـــى

ترددت كثيرا قبل أن أكتب هذه السطور وحاولت مرارا أن أقنع نفسي بأن الامر سهل بالدرجة التي لن يستعصي علي فيها ذلك وتدبرت أمري لكي أصل الى الحل الذي يرضيني ولكنني ما وجدت التخلص سهلا، ذلك ان تقديم اي عمل ابداعي يتطلب – في رأيي – من الزاد ومن الذخيرة الحية ما لا املكه ويتطلب اكثر تلك القدرة الخارقة على النفاذ الى خفايا النص، الى الايحاء الحي والتكثيف الشديد للرمز الى استكناه طبيعة الابهام والغموض والتستر وراء لعبة المباشرة أحيانا لكي ترج – وبقوة – الجدران السميكة للمألوف المقدس وصولا الى زحزحة اساسات الجمود والتصلب التي لا يفتأ يبحث عنها أي فنان صادق مع نفسه.

وهذه فرصة لكي اقول إن الابداع الفني ايا كان شكله هو محاولة لاعادة التوازن لمنتجه وهو بذلك يلعب دور «صمام الامان» كما تفهمه مدرسة التحليل ويقوم بدور «المسكن» في الطب العيادي وهو في نفس الوقت الشكل الملوس للصرخة السوداء التي تحدث عنها الشاعر الاسباني «لوركا».

إنني لا اخفي تبني للمقولة القائلة إن العمل الابداعي هو محاولة لحل أزمة لأنني أفهم الفنان على أنه شخص غير طبيعي غير متزن وكارثته في انه يعي ذلك تماما ومن جذور هذا الوعي البائس يأتي عمله الابداعي اقول ذلك وانا متأكد ان جملة الابداعات التي تعبر عن الفرح ان هي الا لعبة فنان يريد ان يخدع نفسه - وبوعي ايضا - ويخدع القارىء وما الشعبية الهائلة للدراما الكوميدية والشعر الرومانسي الا لكونهما يناضلان ضد الحزن والبكاء والموت كما يقول: «اريك بنتلي».

ومع هذا فإنني انبه الى ان المقصود عندي بالفنان هو ذلك الشخص الذي تملك أدوات الرصد الحقيقية من اجل اختيار الواقع من حوله إنه بمعنى آخر المثقف المسلح - إن صحت العبارة - بثقافات العالم المعاصرة والا كان في رأيي من مجموعة «اصحاب الصنعة» فقط. أقول ذلك بعد أن اتضح لنا في العقود الثلاثة الأخيرة الفرق بين الفنان الغارق

حتى ذقنه في تفاصيل الحياة وبالتالي المهيا للتفاعل معها وذلك الذي ما إن آس في نفسه القدرة على ان «يصنع» بيتا من الشعر حتى ملأ الصفحات بيوتا خاوية من كل معنى جميل وصورة تستحق التأمل.

ويخيل الي – مع خوفي الشديد من ان اظلم احدا – إن تراثنا الشعري هزيل الى الحد الذي يجب معه ان نتحرج من قول أحد لنا «إننا بلد المليون شاعر» وما ذلك الا لكوننا لا نزال – برأيي – نحبو على الدرجات الاولى لمدرج الشعر السامق الذي شيده شعراء العالم ويحدوني أمل كبير في ان نصل يوما الى قناعة كتلك اذ انه ما لم نعترف بذلك فسنبق نراوح في مكان واحد.

ورغم تلك الصورة القاتمة الى حد معين عن تراثنا الشعري فإن اقلاما عديدة حاولت وتحاول الى اليوم ان تنتشل الشعر الموريتاني من الوهدة التي استقر فيها حينا من الدهر لتقف به في المصاف التي وقف عليها الشعر العربي المعاصر وما هذا الديوان الذي أكتب هذه السطور كمقدمة له سوى احدى تلك المحاولات التي أراها جديرة بالدراسة والتأمل واستخلاص المنحى العام منها لشعر العقدين الاخيرين في بلدنا.

في ديوان (زنابة بنت البراء) نقف على التحولات في لغة الشاعرة ويتضح لنا دلك التطور من الخاص الى العام من الذاتي الى الموضوعي الذي يرافقه التمرد على القوالب الشعرية التقليدية تلك القوالب التي تخنق التجربة الشعرية وتسلبها حرارتها وفاعليتها باعتبارها إعادة صياغة للعالم الذي تهمو الشاعرة الى تعبيره.

وتحتل المقطوعات الشعرية والتأملية محمل الانتاج الشعري في السبعينات وتتسم بالرفض والتحدي والبحث الدؤوب عن التعبير الامثل عن الثورة التي تعتمل في صدر الشاعرة لذلك كثيرا ما تحمل اللغة مسؤولية العجز عن الصياغة الواضحة لمراكين الاحتجاج. مع ان تلك (تيمة) تظل تتكرر في كثير من قصائد هذا الديوان ويتجلى ذلك الرفض. خاصة في قصائد من مثل حلم الطفولة». «تأملات». ففي حلم الطفولة هناك إحساس بالمعاناة والتمرد على رموز المؤسسة. على الالتزام بمواضعاته وقوانينه (كرادالة وشيوخ)؟؟ ويختزل الوسط الاجتماعي في هيكل صغير ضيق هو المعبد الذي تمارس فيه طقوس الولاء لهذه القوانين لكن كل ذلك ليس سوى حلم طفولة.

وتقدم القصائد لوحات مرسومة بعناية لامرأة في ثوبها التقليدي طورا وفي ثوبها المتحضر طورا آخر ويطل من خلال

ذلك النموذج الامثل الذي تقدمه الشاعرة. وهناك إصرار على إثبات الذات في كثير من قصائد هذا الديوان وحتى قصيدة «أريد» حيث يتم التأكيد على ضرورة العبور من عالم الاستلاب الانثوي الى عالم المشاركة الاساسية لقطبي مملكة البشر الرازحة تحت نير حضارة الرجل ويصل الامر بالشاعرة هنا الى اختراق بروتوكول الحوار العاطفي لتؤسس بذلك قواعد جديدة لفعالية أنثوية اتجاه الرأس المال الموروث للرجل.

وفي هذا الديوان قصص شعرية مترعة بالخيال ويعبق هذه الارض التي يميزها ذلك الثلاثيّ الذي يسكن الشاعرة تماما كما تسكن هي هذا البلد. ثلاثي النهر والنخيل والقتاد ويطل الصمغ والموج والخصر الدقيق لنخيل الوطن من كل قصيدة ويتعاظم التركيز على تلك المعالم بالتقدم مع الديوان لان وشيجة الاهتمام بالارض وسكان هذه الارض تنمو باضطراد مع نمو الديوان (قصائد الثمانينات).

ويلفت الانتباه ذلك الانقلاب العام الذي يحدث للخطاب الشعري اذ يقفز من بؤرة الذات والاستغراق في عالم تأملي في قصائد الشاعرة الأولى (مرحلة السبعينات) الى فضاء الهم القومي والانساني بشكل عام في قصائد المرحلة الثانية (الثمانينات) وتصبح القصائد في نهاية الثمانينات – رغم

الأقنعة المشوشة ورغم الايغال في الترميز - وثائق احتجاج سياسية ويتضح ذلك خاصة في «القلب الجريح» (لماذا؟) «مذكرات مسفر».

وفي قصائد شاعرتنا ميل شديد الى البنى الاسطورية والى التعامل مع الرمز كتكثيف مطلق لعوالم رحبة عصية على مفردات الشعر الهزيل وفي قصائدها ايضا احتفاء خاص بالهياكل اللغوية الفخمة او قل بالبناء اللغوي الوصين لمعمار القصيدة خاصة في القصائد العمودية لكن دون ان يستعين القارىء العادي بأي معجم لغوي ولربما أحس القارىء بنفس سردي في بعض القصائد «سباء الاساور» «القلب الجريح» ، «رمل ونهر». لكنه سرد يخلع مسحة من صدق خاص على المضمون النبيل لتلك القصائد.

وتشكل تيمة الانتظار احدى المحاور الرئيسية خاصة في مجموعة الثمانينات وتشكل عنوانا مستقلا لاحدى قصائد هذا الديوان وهي تعبر عن استياء من الحاضر يجعل التحمل ممكنا في انتظار معجزة ما لكنها معجزة قد لا تحدث مطلقا في قصيدة «انتظار نفسها» لكنها قد تحدث ويجب ان تحدث فعلا لان اطفالنا يعافون الهدايا ويبغون السلاح ولأن سعدا سيأتي ممتشقا سيفه الرائع وجواده يصهل شوقا الى معارك التحرير الكبرى.

. حـ تهده محرد اشارة من عير اختصاصي حعل من

..ءة الضالة امرا عبـ دي شان ومن الاشارة المهتديه شانا

يـحو ى بعوانه وانى الايمان بالصدق الموفقة

احمد عبد السند

٢٨/٨/١٩٩١م

انتظار:

الكوخ، والريح عواء وبقايا، وذباب...
شاحنة تهز بالأزيز كل باب...
والصمغ.. والشيخ العجوز
يستعد للذهاب
مرتلا يسن...

* *
*

تهدهد الأم وليدا عضه الدهر بتاب...
يحكون عن باخرة تمخر في العباب
وتحمل الأطنان قمحا وزيوتا وثياب
يوما ستاتي من وراء البحر تمخر العباب...
وتسكت الوليد...
لا بكاء...
لا عذاب...
وفي انتظار...
قد تربح البضاعة...

تنمو أحاديث عن الايام والماضي الدفين،
أطياف آلاف الرؤى تنثال في سكون...
يختلط الثغاء بالخوار، بالحنين...
موال أمداح النبي يتعالى في الدجون...
شاي.. أحاديث شجون...
والنار ترعى في الهدوء حطبا جزلا رصين
رباه عالم بما كان، وكل ما يكون...
متى تجيء؟؟
في انتظارها سنون وسنون
لكن ستاتي
من وراء البحر
تمخر العباب ...!!

* *
*

وفجأة إذا بها في ثبج البحر الكؤود،
ربانها مفقود...
وتسعة من حولها قعود...
وصالح سلمها لقومه وقوم هود...

وأزف الحين...
ولكن ظهر العقاب
حملها لوكره وأسدل الحجاب
وارتفع النداء:
من يشتري ضمغا شواء
يشفي بطون المتخمين
لمع سراب..

* *
*

وفي الصباح شاهدت مساجدا بلا قباب ...
مدرسة بلا كتاب ...
مخازنا من دونها تعملق البواب
وأقصرا بألف باب
ونضبت دموعها فانقشع الضباب...
وهدهدت وليدها:
ترى أيمطر السحاب؟؟

يناير / ١٩٨٤

من مذكرات مسفر (قصيدة المريد العاشر)

«ما دامت في الذّهن ظلال نخيل، وأشجار
قتاد ولوح ومئذنة، وما دمنا مومنين بلغة أمّ
ووطن أبيّ، فهذا يكفي لأن يوفّر لنا العزم
والقدرة ويمنحنا هوية الشعور والتّجاوز.
نحمل كلماتنا مسكونة بهاجس الرمل والوطن
والحبّ الاسمر».

ضمّي إليك حبيبا هدّه الزمن
حلّت به محن ما مثلها محن.
ضميه إن به شوقا إليك، به
توقا إليك، له بوح، له شجن،
ضميه إن الرّمال السّمر تعرفه.
ويذرف الدّمع منها السّهل والحزن
رحماك يا أرض لا شيء ألوذ به
إلاّك، لم يبق لي سرّ ولا علن
لم يبق إلاّك ما أرجوه، معذرة
إذا أتيت وقد جافاني الوسن!

* *
*

أين النخيل وصمغ كنت أعلكه؟
وأين حيّـــي أحلّوا اليوم أم ظعنوا؟
الصمغ لازال ثرّا في منابته..
والنخل أعرفه إني به الفطن..
لأسمع الشيخ في ترتيل أدعية،
لآنس النار ضافت حولها الدّجن؛
حدا الرّعاة بإبل الحيّ سائمة؛
ورد السّوام وقد عجّت بها العطن..

* *
*

حبيبتي الأرض إني لم أزل دنفا
رغم البعاد وحبّي فيك مرتهن
كل الطعام بحلقي علقم نزق
كل الشراب بحلقي آجن أسن
إن الجراح بجسمي غير غالية؛
لكن جسمك لن يدوي به غصن.
بنيت عمري جهلا خلف أشرعة
في لجّة الموج لم تثبت بها سفن،

يلهو بها الموج ربّانا وأقبية
في كل زاوية من دحلها فتر
وظلت أحمل من ديني ومن لعني
ثوبا على الدهر لم يلحق له درن!!

* *
*

نعم شهدت بعيني ما أدوب له
وقد سمعت لما اصطكّت له الأذن.
تخطّفتنا أيادي البغي عن طمإ
وصادرتنا فلا ستر. ولا كفن.
طفلاي كالبدر ياما كان حسنهما.
وزوجة كان منها الإلف والسكن
لا... لن أقول! لساني لا يطاوعني
ماذا أقول؟؟؟ فحتى الدّفن مادفنوا !!

* *
*

طلعت من رحم الأحزان مقتنعا

أن الرجال بأرضي السادة الوطن

وأنهم حين تبدو الشعب بادية

هبّوا إليها فما كلّوا وما وهنوا

وأن شعبي كريم في سماحته

وأن حدبي، رمالي جنّة عدن

وكدت أسلو ولكن ما بذاكرتي؛

أراه وما على الأيام يختزن!

* *
*

آمنت أن ترابا فوقه انتصبت

هام الرجال شموخا ليس يمتهن

إرث من المجد ما دمنا يواكبنا

سيّان من رحلوا منا ومن قطنوا؛

إن الجياد اذا ما استنفرت نفرت

لشأوها لن يكلّ السّرج والرّسن!!

* *
*

أيحسبون بإني اليوم متسع
لجهلهم يا لهم هم سادة فطن!
وإن بيتي بيافا دارس طلل
وإن طفلي بصيدا مترب حزن
وإن أمي لو يدرون ما فتئت
تكرر القول أن موتوا ولا تهنوا!
فلا وربي فلن نغتال ثالثة
إن الرجال تحت الأرض تمتحن!!
قصيدتي اليوم شيء لا حروف له
عروضها الحب والايمان والوطن.

١٩٨٩/٥/٢٠

الى خيمة عربية

لبلادي حبّي وورد خدودي
لبلادي أنشودتي وقصيدي
لبلادي صوتي الحزين مضاه
حملات الأيام والتنكيد
كلّ شبر به سجدت زمانا
وتلظّيت في صلاة الخلود
كلّما اغبرّ قاتم واستبدّت
عاصفات الغبار زاد نشيدي
لا أبالي الأيام كم شنقتني
فوق أرضي، كم أمعنت في صدودي!
كلّما الرّمل زاحفا بعيوني،
كلّما كنته بقلب ودود
يا رمالي ويا بقايا نجيعي
أو تنسين موثقات العهود؟
أو تنسين طفلة تركوها
حينما داهموا عرين الأسود؟
سلبوا من بياض عينيّ سوادا
عطّلوني فلا عقود بجيدي

أطفأوا جذوة الشّباب بوجهي؛
قطّعوني بين الكلاب السود...
نهمني موطن أليف، وقوم
صبر، فاستبحت خال السجود
غربتي غربة العرار وشوقي
دمويّ الى رفات الجدود..

* *
*

أتناسوا بأن لي زند قرم
يزرع النجم في رحاب الوجود!
أنا إعصار غضبة بتنزّى
كل حين بألف ألف ولود
بنخيل كطلع أطفال يافا
بكميّ بعقبة بالرّشيد
بقرون تفئ عصر امتداد
يعربيّ البذار والتّسميد
كل حرح بداخلي أرفدته
من بلادي دماء كلّ شهيد

كل جرح يشدّ أبلق خيل
مشرئبا كالعارض الجلمود

* * *

راهب أنت والحمى مستباح
ناسك أنت في زمان حقود
فارس الأمنيات أنت نجيّي
في تباريح عصريّ المفؤود؛
في نجيع رؤى سلالم بيتي؛
في شظايا كنمتها بنمودي،
في دموع انتظار سيف جلادا
في انشطاري؛ وفي حصار الحدود،
في صباحات أمة أرمقوها
ساوموها الفرقان بالتلمود
قادما كالرّدى أراك ونزف
قدسيّ يدكّ صخر السدود
كيف سوّيت؟ كيف جئت من الجـ
ـرح صهيلا ينمو بكلّ صعيد؟؟

قدرا حنت! عارضا! سيف عمرو!
لجم الخيل، صاعقات الرعود!!
هي ذي الارض موعدي فتقدم
هي ملكي من طارف وتليد
ضمدي بالسيوف فيك وعمد
هذه الارض غطها باللحود
فصقيع الشتاء عاث بجسمي
وبرأسي أحلام عصر جليدي!!

* *
*

ثوبي التيلكي لازال بكرا
حالما فيك خادرا بالوعود
من جيوب البنادق الحمر يغـــ
ـــريك إذا غاث في ثنايا الوريد
ساوموني عليه كم ساوموني
أوعدوني بالنفي، بالتشريد
حين كل القواقع الجوف تطفو
مثقلات بمرهقات البنود

لا حروفي مني ولا أنا منها
فحروفي مطرودة لطريد
إنّ صمت القصيد أبلغ جرحا
حين لا سمع منصت للقصيد...
١٩٨٨/٢/٢

تحية بغداد (المربد الثامن)

مــن بلد بعيد
تحية ينثّها دم الوريد
تأتـي إليك في زمانك السعيد
في ألق الفجر وفي معمعة البارود
في عطره الزّكي في همهمة الجنود
في النخل في ابتسامة الشهيد
في دجلة الخلود

* *
*

ملاءة تعانق إلعباءه
تحمل كل عفة وهمسة البراءه
بغداد إني طفلة غريره
أحلم بالنخيل، بالفرات بالقمر
وبالصّقور في المراقب العليا خزر
أهفو لمجلس السمر
أحفظ كلّ كلمة تقول شهر زاد

من المحيط جئت في زورق سندباد
يا حبّيَ الذي بحثت عنه مذ قرون
يا مرفأ الخيال والجنون
يا منبعا ثرّا دفن
لازال رسم ملّني على الجبين!
هل تذكرين؟

* *
*

هل تذكرين امرأة سمراء في لون الرمال؟
يعنو لوجهها الجمال
قد خرجت يوما مع الجند تبارك الرجال
تبلسم الجراح في معمعة القتال
وطبعت سمرتها على الوهاد والتّلال
سيفا صقيل!
وواحة من النخيل!
طريقها كان طويلا وطويل!!
غدوّها شهر،
ولكن الرّواح

يا للرّواح!!
ويا لآلام الجراح !!

* *
*

بغداد هل تدرين كم عشقتك...
وكم عشقت فيك كل ذرّه...
بغداد كم سمعت! كم قرأت! كم عشقت!

* *
*

في همسة النخيل، في الظّل الوريف، في الشّناشل
أريد أن أحلّ أن أعانق الأيائل
أريد أن أعيش مجد بابل
أريد كم أريد!
أريد أن أغامر؛
أريد أن أحاصر
وأن أرى سعدا يحثّ الأدهم المكابر!
ليقتل التّتر!

ولتقذف الهامات بالحمّى وبالشّرر!
ولتهتف الأحجار بالدّماء بالثأر!
وليفعل القدر!
كان قدر!!

* *
*

بغداد لا صدود لا فراق بعد اليوم
لكم حملت حبّيَ العملاق كالمحموم
إرث معي تحمله الرّمال والغيوم
كل رمالي تذوب
تذوب في حضين الفرات
ويبعث المواب
أجنّة العهد القديم
تشقّق السديم...

بغداد/ ١٩٨٧/١١/٢٠

رمـل ونهـر

رملـــــي ونهري توأمان،
غذاهما درّ حنان،
وفي الصباح يحملان القوس والصّناره،
وأملأ الجرة أروي النخلات
وحين نجمة الرعاة؛
تبرز من اطلالة المساء،
يعود ولداي
فيتحفان الحي بالأسماك والغزلان،
بالسّعد واللّيف وزهر الأقحوان
وكلّ عام في الشتاء تكبر الاسماك،
وتدفئ البنات بالطين شقوق القدمين،
وتزهر الوديان بالحليب والبنين...
وحين تمسح الصبا كل الحقول
منذرة بالعارض المطول،
وتمرغ النوق التّراب،
أهتف بالأبناء قد حان الرحيل

فيوضع الزاد على الاقتاب
وتحمل الخيام..
باركت كل عرق الجبين،
وقلت لا لمن يريد أن يعوق ولدي
فلتدأبا كل شتاء!
ولترحلا كل مصيف!
وحاذرا أن يسرق النمر وتخنق الاسماك
وراعي الغزلان، لا توضع لها الشراك!
فأرضكم لا تعرف؛ الجوع ولا الدخيل؛
ورملها ونهرها مجد أثيل..
وكلما البسر نما وزادت السيول
ولألأت شمس الأصيل
ذوائب الرمال والامواج
أو أذن الديك صباحا وابتهاج
سيركن الحجيج للأرض التي
لا تعرف الجوع
ولا الدخيل..

١٩٨٧/١٢/١١

... ويتحدث الشيخ المحافظ
تحية الثامن مارس

حيّيت في عيدك الميمون غانية
وظلت ترعاك أنظار وآذان
فشعرك الدّهر أهلاب ملوّنة
يقصّ منه ونبقى منه أفنان
عيناك كحل وأهداب مبرعمة
وساعداك أساوير وعقيان
وفوك لا فضّ فوك، الله يكلؤه
ففيه ما فيه (شنكوم و(جيتان)
كم ذا يقال اذا استرسلت راقصة
السحر سحر، وأغوال وجنّان.
من للقوام، وكيف الثوب يحصره؟
والخدّ معتصر دمنا وريّان
عجزت عن وصفه ما أنت من أحد
أأنت جنّية؟ أم أنت انسان؟

خلف الكواليس آلاف بلك استلدوا

مخنّثون وأشباخ وولدار

لا تسمعي عذلا من حاقد لسن

فإنّما المرء أصداء وألوار"

.

١٩٨٢ ٣ ٨

لـــمـاذا؟

«ألقيت في المهرجان الأول للاغنية البديلة».

لــمــاذا أغنّي وصوتي نحيبٌ؟
لـمـاذا أغنّي وحرفي هروبٌ؟
لـمـاذا أغني ودربي دروبٌ؟
وخيمة أمّي كوجه الحبيب
تحاصرها قاذفات اللهيب
وأختي تبيع جدائلها
لتكسب خبزا بلون الندوب

* *
*

لــمــاذا أغنّي وصوتي نحيبٌ؟
وحرفي غريبٌ كوجهي الغريب؟؟.

* *
*

لــمــاذا أغنّي وقلبي جراح؟
لــمــاذا أغنّي وأرضي تباح؟ .
لــمــاذا وطفلي، يعاف المدايا ويبغي السلاح
ولم يدر يَوما بطعم الحليب...

* *
*

وحـين يضيق المدى وتنزّ الجراح
تقول يعود!
تلقن طفلي نشيد الصباح
وتطفر من وجهها، نجمة كالشهيد
نعم...
سيعود؟

* *
*

نعم سأعود
على العهود بأني أعـود...
سأملأ كفيّ من طينها
وتحبل بي الارض

تعشقني
أعانق فيها.
جمال الدّماء
ووحي السماء

* *
*

نعم سأعود!
وحين أعود
سأنسج من صفحات الورود
لحافا لمهدك،
غطاء للحدك،
أغنّيك أغنيّة الأرض،
أسمّيك سعدا،
وتملأ سلمى صحون الثّريد
تنادي على الحيّ:
قد جاء سعد!
لقد جاء سعد
كمهر أصيل...

لقد جاء سعد
كسيف صقيل...
لقد جاء سعد
كأرض النخيل...

* *
*

وتطلع من كلّ أرض بتول
وتطلع من كلّ عشب الحقول
تنادي... تقول:
هلموا... هلموا...
لقد جاء سعد
وكل الشموس بكفيه شمس
لقد جاء كفاه ملء القدر!
يعانق زنداه رمل المحيط،
وتحمل عيناه برّ الخليج
ويزرع في كل أرض قمر،
ويعزف شبابة بالوتر؛

يغنّي فيبقى النخيل امتداد ...
تذوب الحواجز بين البلاد...
تعانق أرض الجريد السّواد...
وتنثال أغنية للفداء
مدى كل سهل وفي كل واد ...

طرابلس ١٢ / ٧ / ١٩٩٠

القلب الجريح: (بمناسبة بدء الانتفاضة)

وذبح الذّبيح،
وكل يوم يفتح الضّريح
فوق نخيل الشام عند الصخرة المقدّسة،
يعمّد القلب الجريح
أرزا، وليمونا، وأمواج الخليج،
ترقّع الأمّ كساءها الوثير،
تدثّر الأطفال عن ثلج الصقيع...
وتهتف الأرض: ثملت بالدّماء!
فتهتف السّماء: أن حمّ القدر،
وأنّ عزرائيل قد ملّ البشر!
وعندها تنتفض القبائل؛
ينعقد الإجماع أن حان الأوان
لتزرع الزّيتونة المباركة
ويرجع الوحيد غبّ المعركه
لعشّه الوثير
ويهدأ الطوفان...

* *
*

تغلّق الأبواب فهو مؤتمر...
يعقد في سرّية، في غاية الخطر
يعلّق العقال، والطّربوش، والعمامة
توزّع السّكائر،
وفجأة ودونما استئذان
وكل باب موصد، يدخل حاو بهلوان
تحفّه سحائب من الدخان
يبدو كعابري السبيل
غريبة أطواره غرابة الأطفال في يافا وحيفا والجليل.
لا بأس، فالرّأي احتدم
بل كلّما في الأمر تلطيف السّأم
لتحمضوا بعد الكلال

* *
*

ومن جرابه الصغير ينسرب الثّعبان
عيونه سميكة وفمه فمان
يسمّر الجميع؛
لكن شارة الأمان

فوق جبين البهلوان
ويعرض الثعبان فيلما رائعا
مراقصا على القمر،
نجوم هوليود تعانق الفجر،
ونغمات عذبة تحيـــي ليالي السمر،
يصفّق الجميع فالفيلم بديع
بل كلما في الأمر تلطيف السأم
من فمه الأيمن حلوى رائعه
تلقفها الأيدي، مذاقها عجيب
تريح من يخلد للفراش،
وترجع الشّيب شبابا تجلو كلف الوجوه
ينبهر الجميع فالأمر بديع،
بفمه الأيسر سيكار رفيع
رشف كل النّفط فاهتزّ الجميع
ورقصوا وشربوا نخب الفكاهيّ الوديع
ثم أشار البهلوان إشارة الصّمت وقال:
يا أيها الرجال!
لكي تحافظوا على سلامة الوجوه
على شباب ناضر يراهن الزمان
لابدّ للثعبان

من وجبة غنيّة كلّ مساء
ووجبتين للغداء
لكن فطوره الصباحي الخفيف
يختار من جنس لطيف
يكون في مخيّم أو مدرسه
ومن عيون غضّة لا تعرف السّأم!!
تحقّق الرّجاء فانفضّ الجميع
عيونهم تطفح بالبشر وبالخدر،
وختم البيان أن تمّ الخبر.

* *
*

وناجت الأمّ شهيدها الحبيب
قالت أيا بنــيّ جاء في سفر الخلود
بأنه يولد من شظيّة البارود
قوم سيخرجون في عهد قريب
عيونهم خزر كأسواط اللهيب
تحرّق الافرنج والمجوس واليهود
ستوقف الشّمس لهم يوما وبعض يوم

فيزرعون الأرض زيتونا وطيب
ينبت فوق هامة النسر فيولد الزمان
وينشأ الانسان
يسامق الدم الشهيد،
ويورق الدمع العميد
ويسكت اللّيث المجنّح الزّئير،
اذ كلّما ليمونة يلمسها برد الصّقيع،
أو زمهرير قائظ يصدع بالزّئير
وتعرف الخيول بالمحيط والخليج، أن تعلف الشّعير
ويعرف المديل أن أمّه غبّ الشّتاء
قد ملأت أعشاشها عشقا وماء
وأنّه بعث جديد ...

مهرجان المربد ١٩٨٨

مدار

سأرفع طاقيتي للخلود
وأشرع رمحي بقلب الوجود
فيفهم هذا الزمان البليد
بأنـــي هنا
علم للصمود!
بأنـــي نقطة بدء جديد !
بأن من الليل، من وجع الذكريات من الروع
ينبت
شهم عنيد !

* *
*

جئت هذه الأرض حبلى
وكانت عزازا كؤودا
وإن شاقها الحب عز اللقاء
تدللت دهرا ..
تمنعت قهرا ..

وراح ضحاياك طيّ الرّمال
رأوا أن ودّك شيء يقال وليس ينال
وربّك أعطاك دفء العيون
ورجرج خصرك قيد الجمال

* *
*

وها هي حبلى

بكفّيه تندى
تنوء مياه
بباطنها تتلظّى الشّفاه
وتنجب.. تعطي.. تشقّق.. ألف رواء وألف حياه...

* *
*

تحدّيت يا للتّحدّي !

تصدّيت يا للتصدّي !
تغلغلت في كلّ فكر جوابا يحير السؤال!
يذيب المحال !

لأنك وحدك
تعرف كيف الرجال
وأين الرجال!
لأن لشعبك
طاقة حب
تفوق الخيال ..

الرباط ١٩٨٨/٦/٥/

سبــاء الأساور

وجـدّي روي كـيف كـان الـسّباء
وكـيـف أضـاعـت يـداه الـمـتـون
بـقــول بـدعــت لأمّــك يــومــا
أســاور مــثــل ســواد الــعـيـون
وفي الجدب، في المحل، كان صداها
يـرنّ، يـشـيـع، فـتـنـمـو الـسّـنـون
أمــان مــن الــسّـحـر والـجـنّ هــي،
تـعـيذ الـبـنـات وتـحـمـي الـبـنـيـن،
وكـــان ســـبــاء وبـــيــن الــقــتــاد
وضـعـنـا الأســاور كــنــزا دفــيــن
لـقــد كــان دمــع ســمــوح يـشـيــ
ــع على الخد منه ويندي الجبين..

* *
*

ويسّامـق الحـلـم يكبـر ينمـو
كـمـا الـرّمـل فـي عـبـث واتّـئـاد

بحثت عليها وتعنو الرّياح
لتذروّ كلّ بقايا القتاد
تموت الأصابع تدفي الرّمال
سواد العيون بحور رماد
على كاهلي الجدب، والكنز همّي
وحولي بقايا حديث سعاد

* *
*

يقول المدرّس لا حقّ، لا سحر
كل الإشاعات لغو كذوب
وكل النّذور اقطعيها تعدّي
حميم ابتهال بوقت الغروب
بهذى الخريطة سوف ترين
جميع الرّمال، تراح تذوب
وفي السّوق قالوا جميع الحلى
فرحت بأسئلة جائعة
تعذّبي صائعه ضائعه !!

**
*

تظل الإشاعات تطوي الفراغ

تحاور أنفسها الكلمات

شفاه نرص حديثا؟ تدير

حروفا مشاعا بغير سمات؟

وأرهف سمعي لرجع الصدى

فتدماع في الأوجه القسمات

وماذا عن الأمس؟ مادا عن اليوم؟

ماذا، ومادا، زمان يمات!!

أفتش أبحث فيد المكان

يرد الصدى ضائعه، ضائعه..

١٩٨٥ / ٣ / ٥

القافلة

وأردت حينا أن أكون !!
وأن تكون كتابتي مطرا هتون !!
يروي الرّمال العاطشه ...
وأردت باسم الشّعب أن يفنى الغبار
ويبدّد العزم الخمار
وتذوب في الماضي الأماسيّ الحزينه
وكلّ نسج العنكبوت، وكلّ آلام الصغار ...
ليشقّ كلّ مكمّم أصفاده...
ولا يبقى انتظار
إنّي مللت الانتظار
وقد مللت القافله...

* *
*

ماذا أدوما تسلكين معي الطريق
دوما خطاك الدّائرية كالمخدّر لا يفيق
وحنين يسلبك الخفاف

وتمرّ قافلة العراة خلف أبواب المدينه
تأتيك في الأمد البعيد كطنين أسراب الذباب
تمتدّ مشرعة العيون، كالحلم تنبذه السماء
يتلصّصون من الثّقوب على دكاكين الحجر
ويد كجذع ناخر، صفراء عاتبة القدر ...
يا ربّ أطفال الغبار
ندعوك خفّف صمتنا
إنا مللنا الانتظار ...
وقد مللنا القافلة !!

* *
*

بمراوح كالأمسيات يغدو حنين مصلّيا
وتسابيح الجنون المرّ يعلكه الحفاة
العائدون من الجهات الستّ،
والقشّ السّماد،
يبلى الوجوه؛ وراحتان تراهنان على المزاد؛
هذا حنين مصلّيا
فلتا خذوا عنه الصلاة..

ولتقتلوا كلّ الحفاة..
ولتحرقوا كلّ العراة..
إن الصّلاة هيّ الصّلاة..

يناير ١٩٨٣

ترسيمات على الوطن الأمّ

حملت تربك في حبري وفي ورقي
وفي حنايا دمائي، ثورتي، قلقي
وفي النّخيل يناغي الكرم منتشيا
وفي الأصيل ينمّي جذوة الشّفق
أتحفتك الطّين من أرضي، أطايبها،
صمغ القتاد، وحفنات من النّبق...
يا منبع الشّعر هل غنّتك أغنية
قبلي فتاة بقلب نابض لبق؟
وهل عرفت نواق الشّط منزلتي
وهل تفيّأت ريّا نورها العبق
وهل رأيت جبال الرّمل في صلف
تذرو الرّياح حنايا ثوبها الخلق؟
يسطّر البحر ما ماجت به حقبا،
ويشرح النّهر آمادا من الألق
أخلصتك الودّ لا ودّي بمبتذل
وصغتك الشّعر لا شعري بمختلق
ثقي بحبيّ لست اليوم أنكره
خذي إليك فؤادي وافتحيه، ثقي

أريدك اليوم إسوارا يجمّلني
أريد نهرك وضّاء على عنقي
أريد رملك تاريخا بناصيتي
فلتغفري صلفي، ولتغفري نزقي

أغشت ١٩٩٠

تأملات

يقولون لست كباقي النّساء
ذوات النّهود ذوات الخصور،
فهلاّ تكلّمت أحلى الكلام
بطرف خجول وصوت كسير
وهلاّ لبست رقاق الثياب
وضمّخت أطرافها بالعطور
ورنّت أساور في معصميك
وفي السّاق رنت كلحن مثير،
ونذّت ضفائرك الحالمات،
على الخدّ مثل فراش غرير
تمايلت بين المشاة دلالا
تصابيت مثل الوليد الصغير..

* *
*

أدين تراني بآرائهم؟
وهل مات منّي تراه الشعور؟
إذا ما أطعت فمن ذا أكون؟
ومن يتغنّى بيوم مطير؟
ومن يعشق العشب غضّا نديّا؟
ومن ذا يناغي لسرب الطّيور؟
ألجم نفسي؟ بنفسي حكايا
بنفسي خبايا، وهمّ كبير
وحولي الحياة تفيض جمالا
ألبث جامدة كالصخور؟
دعوني وفنّي لفنّي أعيش...
دعوني وفنّي لفنّي أسير...
سنسجد للفجر أنّى نراه،
ونعبد فيه الضّياء الطّهور...
ونسمع أسراره الحالمات
تردّدها نغمات الدّهور
وفي الليل خلف الظّلام المهيب
نرى الموت يختال بين القصور
ونمشي وفورين فوق التّراب
فنصغي الى همسات القبور

ونبكي بأدمعنا الساخنات
يتامى وثكلى وشيخا ضرير
ونسمع نجوى الإله العظيم
فنقرأ فيها خفايا الأمور
وراء المكان سنبقى هناك
نديمين نرقب مرّ العصور
على شاطئ اليمّ نبقى هناك
وحتى تحين ليالي العبور

٥ / ٦ / ١٩٧٥

ثرثرة غائرة:

فبالله ماذا تريد أذهب
وبادر بوجهك عني أعرب
وماذا تريد على عتبتي
تحكّ على الباب كالأحرب
أنا من علمت فلا غرّة،
ولا دمية من دمى الملعب
ولست بأقراص حلويّة
تنحّى وتؤخذ للمطلب...
أتاتي إليّ، وأنت الخدوع؟
أتاتي إليّ وعهدك بي؟
أبالأمس تذكرني حولها
وترسل نظرة مستغرب،
تقول لها ربّ مجهولة
درتني ولم أدرها فأشربي
تناولها الكأس غضّا نديا
تشير إليّ ألا فاذهبي
وتوهمني أنها خالة
وأنّك تخجل للسّبب

أبعد فراقك منّي مساء
تحاول كسبي؟ فلا وأبي!
أتنكث عهدي وتهزأ بي؟
فيا لك من أحمق! من غبي!
بقلبي خلقت شرورا تئنّ
تهدهدها سورة الغضب
تمرّ بكلّ؛ تغازل كلاّ؛
تطفّلت أكثرت يا أشعبي!
منحتك كل التّعاريف قبلا
فجدّد ملفّك وانتسب ..
جهنّم كبرى بما قد حرقت
فلا النّار ناري ولا حطبي
أنا لم أدن بسطور النساء
ولم أتمذهب فلي مذهبي!
أنا صرخة في سماع الزمان...
أنا حمرة من دم المغرب...
أنا كوكب لا تراه العيون
فمدّ ذراعيك للكوكب!

١٩٧٦/٤/٥

أريـــد

أريد لشعري يغني كياني!
أريد لشعري يعاني مكاني
يعاني زماني!
أريد لسيفي يروّي حصاني
أريد من الحرف، أن يستبدّ ويخرج من عمدة القيرواني،
من العلب السّود،
من قال عمرو لزيد وزيد لعمرو...

* *
*

أريد من الحرف شيئا ثقيلا بروع الأمير،
يفجّر كل دموع الأسير،
ويثأر للنّهد والخصر،
من ابن ربيعه
ويصرع فوق السرير،
صريع الغواني

وزرياب والموصليّ، وكلّ الذي دبّج الأصفهاني..
وكلّ المثـاني!!
أريد من الحرف صحراء قيظ تتوه عليها الوعول،
تضاربها الرّيح، تثقبها الشّمس، فينبت منها
الجواد الأصيل!
لتهتف عبلة أن الأمرّين خير!
وأن بكارتها ستظلّ...
حتى تعانق عبس ذبيان..
وقحطان عدنان
وتأتي جديس وطسم تكلّل خيمتها الأقحوان..

* *
*

فلا كان حرفي؛ إذا لم أبارك بنيه!
ولا كان سيفي؛ إذا لم أجالد أبيه!
وأهتف دوما
أنا عربيه!!
أنا عربيه!!

١٠ / ٩ / ١٩٨٩

أنشودة الحجر: «لعينيك يا أسمرا عربي»

سكنت عميقا بسجع الحمام
بزيتونة تتغنّى السّلام
بثائر أرض يتوه الكلام
على شفتيه كطفل نبي...

* *
*

عميقا تجذّر هذا الجنون
توهّج في ألق للسّكون
فغطّى المشاعر، أعمى العيون
بعاصف حبّ وموج عتي...

* *
*

فما في الضّلوع يذيب الدّروع
يدمّرني نسمة من خشوع

تناجيك في اللّيل هل من شفيع
لقلب معنّى بقلب عصي؟

* *
*

أطلّ وعيناه نور الصباح
تلملم أحصان أرض تباح
يداه صواري تدكّ السّلاح
حجارته أسهم وقسي

* *
*

ففجّر حقودك من كلّ واد
أبد، إنّ أحجاره لن تباد
ومهما عتوب فإنّ البلاد
فلسطينه ومداه السّني

* *
*

ومهما عنوت شننت الحروب
ومن كل فخ نكأت القلوب
ومزقت أشلاءنا في الدروب
فمنها سببت حبل أبي

* *
*

تقدم حبيبي سيبقى المكان
رهين يديك سيبقى الزمان
بداية عمرك يبقى الزمان
لعينيك يا أسمرا عربي...

بنغازي / اكتوبر / ١٩٨٩

ملامح وجه :

هي أغنية* طالعتها الحياة
نجمة عبرت في فضاء الزمان
لا ككلّ النّساء!!
حلم وجهها، كدم الياسمين،
كسماد الحقول، كعبير المياه
كم تغذّى على دمها البائسون
كم تغنّى الرّعاة بجدائلها .
وبقوس قزح في أناملها.
شربوا نخبها كلّ أدمعهم،
لم يزل سكرها في أحاديثهم،
نشوة للعراء...
موطنا للّقاء..
وهجا للبتماء...

* *
*

ويقول لنا ربّ ماشية،
لست أعرفها،
إنما حبّها في كياني انتشى
بدمائي اختلط
حين أرقبها في مساء حزين
تنثني لا تبين
حين أرصدها في صباح وضيء
تنثني...
لا تجيء...

* *
*

كان في زمن ذكرها قدري
كان بين السماء والأرض أسمى حديث
وكل المهاري أتين سراعا
وكل الأيائل كل الحمائم
كل النّوارس والأمنيات...
وفي عرض البحر شبّ القمر
ونادى المنادي
بأنّ الزّوارق سوف تعود سراعا

وتحمل نور الاقاح، وعطر السنول"
وما فتئ الجمر حيًا، كذوب الشموس
يناغي الدّجى أن يجئ
ليكتب سطرا

* *
*

وحين أطلّت سكرنا
وغاب الدّجى بين أشباحنا،
كأحجية للخلود
وما فتئ الجمر حيًا.
كدوب الشموس
كما يخلد المفتون،
بعثنا!!
وعاد التّشكّل
عاد انتحارا عصيًا
ولمّا نطلّ
لنقرأ حرفا..
ولمّا نعود

لنكتب سطرا
ولمّا تغيب الملامح...
بين حياتين ما فضّتا
وما فتئ الستر
من أمر ربّي.

يوليو ١٩٩٠

خواطر :

سله المهملات!
وحديث البنات
وشراع ينوء ويغطي السبات
هاجم العابدون شيخ رب الخزي
كسروا عوده وتثنى الوتر
وانتشى في الدروب عابد يحتضر

* *
*

بغلة سرجها زمر الأقحوان
ويداها حصان
ونظام البيوت
قدح ولبن
وعتاب على عاديات الزمن

* *
*

طالب يمتحن
مرسل شعره كشعاع الصّباح
من وراء السّجوف
وندى من أقاح

* *
*

طائش لحظها متعب سهدا
ساعة الاجتضان – حائر أبدا ...
وعذاب اللّقاء في لماها مدى ..

٢٣ / ١١ / ١٩٨٩

سـأم :

لغتي قد سئمت ما أنت إلاّ
عطش يشرب الدّما من جبيني
يا حروفا مسمّرات أعيدي
خلقك المرّ كوّني لتكوني
راهبي الخلق واستثيري غريبا
أو تلاشي فأنت محض رنين
كسّري قمقم الخيال وعيشي
لحظات من الرّؤى والجنون
خلّصيني من العهيد تجلّي
كرؤى الحبّ في قتام الشّجون
بات صمت الحروف خوفا تداعت
في صميمي مرافئ للّحون
أين أمتاح جدّة وسؤالا؟
لغتي! لن أكون إن لم تكوني

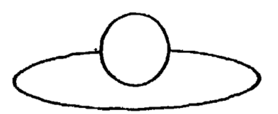
٤ / ٥ / ١٩٨٣

حلم الطفولة :

لا تسأل الأيام عن حبّي وسل
حبّي عن الأيام والتاريخ
إنّي إكتشفت عوالما مجهولة
وحملت أفكارا عن المرّيخ
رتّلت سفر الحبّ في قدسية
فكفرت بالتّأنيب والتّوبيخ
هدمت أركان المعابد كلّها
فقضى كرادلتي وفرّ شيوخي
وبنيت بالأنقاض أعظم هيكل
أطلقت فوق سمائه صاروخي

٨ / ٩ / ١٩٧٥

فهـــــرس





– من مواليد ١٩٥٧ بقرية اتاكلالت .
– تلقت دروسها الاولى في محظرة ابيها الامين بن سيد المعروفة بمحظرة النحو واللغة في «إكيدى».
– تخرجت من المدرسة العليا للأساتذة سنة ١٩٨٣ بشهادة الاستاذية في الآداب.
– حصلت على دبلوم السلك الثالث بجامعة محمد الخامس بالرباط، درست بالجامعة منذ ١٩٨٧ وتعمل الآن مستشارة بوزارة التنمية الريفية.
– من الاقلام المفكرة والمتميزة، لها العديد من المؤلفات الفكرية والادبية منها: «المرأة في المجتمع الموريتاني»، «البناء المسرحي عند توفيق الحكيم»، «حكايات جدتي»: (مجموعة قصص للأطفال)، «الأظافر الحمراء»: (مجموعة قصص قصيرة) ورواية بعنوان: «العبور الى الجسر الآخر» ومجموعة من المقالات.

– في ديوانها «ترانيم لوطن واحد»، «تسيطر فكرة الرجعة الى ا... التليدة والانطلاق الى حد الاستحالة»، فالصمغ، والنخل، والر... وأطناب الخيام، واحاديث الرعاة، وهموم المجتمع، والقضية الكب... تندغم كلها في انسجام بديع وبأسلوب خلاق لتولد ذلك الرجع ا... الصدى «ترانيم لوطن واحد».

د. احمد بن ا...